الفصل الرابع

المتنبي قناعاً في شعر اليمن الحديث

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع
المتنبي قناعاً في شعر اليمن الحديث

لقد حاول شعراء اليمن أن يلونوا قصائدهم بأحد معطيات المسرح، وهو (القناع) أو ما يعرف عند النقاد والشعراء بقصيدة القناع[1]

وقد حدّدَ الدكتورُ إحسان عباس مفهوم القناع في الشعر، إذ "يمثل القناع شخصية تاريخية - في الغالب- يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده وليحاكم نقائض العصر الحديث من خلالها" [2]

ويرى مجدي وهبة أن لفظة قناع في العمل الأدبي تستعمل "للدلالة على شخصية المتكلم أو الراوي في العمل الأدبي ويكون في أغلب الأحيان هو المؤلف نفسه.. والأساس النفسي لهذا المفهوم هو أن المؤلف عندما يتكلم من خلال أثره الأدبي يفعل ذلك عن طريق شخصية مختلفة ليست سوى مظهر من مظاهر شخصيته الكاملة، ويظهر ذلك جليّاً في ضمير المتكلم مثلاً في الرواية أو في القصيدة، حيث لا يشترط أبداً أن تعادل (أنا) الراوي أنا المؤلف الحقيقي" [3] ويجب أن يرتبط القناع بالرمز "برابطة متينة بحيث أن من الممكن تماماً أن يرتقى كل قناع إلى مستوى الرمز وفاعليته، لكن الرمز لا يتحول بالضرورة إلى قناع " [4] . فاستخدام القناع وسيلة

---

(١) القناع لغة هو ما تغطي به المرأة رأسها من ثوب وغيره، وجاء في لسان العرب" المِقْنَع والمِقْنَعَة.. ما تغطي به المرأة رأسها .. وقال عنترة:

إن تغـــــدُ في دون القنـــــاع فـــــإنني طـــــبٌّ بأخـــــذ الفـــــارس المـــــستلهمِ

وقال الأزهري: "ولا فرق بين الثقات من أهل اللغة بين القناع والمقنعة" لسان العرب ابن منظور مادة (قنع)، والبيت في ديوان عنترة ومعلقته، ص ٦١.

(٢) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، ص ١٥٤ .

(٣) معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة ٣٩٦.

(٤) في حداثة النص الشعري، دراسات نقدية، علي جعفر العلاق، ص ٨٢.

فنية تعبر عنها رغبة الشاعر للارتقاء بشعره إلى عالم التعبير الموضوعي والتجربة الإنسانية. لذا يجب أن تتوفر في الرمز الذي يريد الشاعر اتخاذه قناعاً عناصر مضيئة في التراث الإنساني، بحيث يكون قادراً على تحمل مضامين جديدة ومعاصرة.

ولذلك لم يكن لشعراء اليمن من بد من تقمص شخصية المتنبي، وتعد قصيدة (وردة من دم المتنبي) لعبد الله البردوني من أهم محاولات القصائد العمودية الناضجة في شعر اليمن الحديث لكتابة قصيدة القناع التي يغلب عليها الأسلوب القصصي المبني على الحوار والسرد، فضلاً عن قناع المتنبي الذي تقمصه البردوني، وقد صورت حياة المتنبي وثورته بطريقة درامية..

غير أن العنوان يوحي وكأن القصيدة تقف عند الأنفاس الأخيرة للمتنبي، وقد أثخنته الجراح، ودمه يسيل في معركته الأخيرة غير المتكافئة مع أعدائه،نعم ربما يكون كذلك، طالما والمتنبي قد وصل لغايته التي ينشدها منذ صباه ألا وهي الشهادة التي استحقها بعد جهادٍ طويلٍ وحافلٍ في تاريخ الأمة . فلا غرو أن ينبت دم المتنبي المسفوك على أرض العراق الطاهرة وروداً حمراء يهديها للشعراء والمجاهدين العرب في كل زمان. وقد وصلت إليهم هذه الهدية غير أن شعراء اليمن خير من قبلها وأخذها على محمل الجد، وقد عبر الأستاذ هلال ناجي عن هذه الفروسية وروحية الفداء العالية عند أدباء اليمن، إذ يقول: ((فما أعرف بين أقطار العرب كافة قطراً قدّم أغلى الضحايا من أدبائه على مذبح الحرية كالقطر اليمني.. ولم يجتمع لقطر عربي هذا النصيب من الشهداء في أدبائه كما اجتمع للقطر اليمني)).[1]

وقد سادت الوطن العربي نهضة قومية حاولت التمسك بالأرض والوجود العربي وإثباته من خلال المناداة بالوحدة العربية والدفاع عن الحق العربي في كل مكان من أرجائه.

و"هكذا يقدم لنا البردوني ذكرى الشاعر أبي الطيب وردة من دمه، أي أنه يأخذ المتنبي الذي يرفض أن يضمه قبر، ويظل يمتد في زمان كنهر متدفق دائم

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون، ص ٦ .

الجريان يقيم البردوني محاورة نصّيّة بين الشاعر المعاصر الذي يحمل ميراث الانحدار العربي ويتجرع المعاناة ذاتها التي عاشها المتنبي في زمانه. كأن المتنبي لم يمت، أو كأننا لم نفق بعد من سباتنا، رغم أن المتنبي مات غدراً، ومات قهراً في ليل الحضارة العربية الداجي الظلمة" [1] بعد أن كانت دعوته وحدة الأمة ولمّ الشتات ومحاربة الأعداء.

لقد رضي البردوني أن يصبح ناطقاً بلسان المتنبي، ويبدو أن هذا التوظيف حقق للبردوني راحة نفسية كبيرة، لأن هذا الدور وفر له فرصة تقمص الشاعر الشهيد بعد معاناة النفي والفقر والغربة والجهاد والطموح، والصدام مع العصر، وتنكر الأصدقاء، وشماتة الأعداء. إن المماهاة بين الشاعرين سهلت على الناطق إعطاء التجربة بكل حرارتها مرشحة على عصريهما، وأتاحت له فرص الالتفات في صيغ الخطاب والمناوحة بين الضمائر، فضلاً عن المناوحة بين العصور، أما الصوتان اللذان قصد بهما فلم يتجاوزا صوت الراوية - الشاعر المعاصر وصوت المتنبي- وعلى الرغم من تداخلها في التعبير عن مواقف المتنبي، إلا أنهما قد أسهما في وحدة القصيدة؛ لأنها حفرت في العمق في مكان واحد هو النقطة التي تلتقي فيها معاناة الشعراء في كل العصور.ولكن معاناة المتنبي لها وقعها الخاص، لا لأنه شاعر مجدد في عالم الشعر فحسب، بل لأنه يتحدى الأزمات ويدوس المنايا ويجتاح معاقل الخصوم ويواجه الموت الكالح، وكم قد اكتوى بنار الخصوم وتلظّى برمضائهم، وقد بدأ البردوني الحوار بصوت الراوية متحدثاً عن بطله :

من تلظّي لموعِهِ كاد يعمى ... كاد من شهرة اسمه لا يُسمى
جاء من نفسهِ إليها وحيداً ... رامياً أصله غُباراً ورسما
حاملاً عمره بكفيه رُمحاً ... ناقشاً نهجه على القلب وشما

---

(١) البردوني هوميروس اليمن "مقال" هشام علي، مجلة الثقافة، السنة الرابعة، العدد الرابع والعشرون – يوليو١٩٩٦م،٨٧ .

خالعـــاً ذاتـــه لـــريح الفيـــافي ملحقـــا بـــالملوك والـــدهر وصـــما[1]

ففي هذه الأبيات إشارة إلى لقب المتنبي الذي لصق به كرهاً، وذاع شهرة وطغى على اسمه الحقيقي، وإذا كنا نرجح الآراء التي تدحض تهمة النبوة عن المتنبي، بدليل أن شارحي ديوانه من القدماء ينفون أن المتنبي قد ادعى النبوة، فضلاً عن جهابذة النقاد المعاصرين، وكان هو سئل من قبل ابن جني ونفى نفياً تامّاً هذه التهمة .وفي رواية أخرى قيل للمتنبي" على من تنبّأت؟ قال: على الشعراء، فقيل له: لكل نبي معجزة فما هي معجزتك ؟ قال معجزتي هذا البيت:

ومـن نكـد الـدنيا علـى الحـرِّ أن يـرى عـدوّاً لـه مـا مِـن صـداقتِهِ بُـدُّ " [2]

وإذا ما أنعمنا النظر في أبيات البردوني نجد أن الراوية قد استخدم "الفعل الماضي لتقديم إضاءات خارجية عن بطله، وحين تقطع بعض الأصوات أسلوب السرد لتقديم إضاءات عن البطل من خلال الحوار تتحول الصياغة من الفعل الماضي إلى المضارع، ويتم الاعتماد على الجمل الاسمية بدرجة أكبر"[3]، إذ يقول:

مـا اسـم هـذا الغـلام يـا ابـن مُعـاذٍ اسمـه (لا):مـن أيـن هـذا المُسمَّى؟
إنـــه أخـــطر الـــصعاليك طُـــرّاً إنـــه يعـــشق الخطـــورات جَمّـــا
فيـه صـاحت إدانـة العـصر: أضـحى حكمـا فـوق حاكميـه وخـصما
قيـل: أردوه، قيـل: مـات احتمـالاً قيـل: همّـت بـه المنايـا وهمَّـا[4]

نتأمل قليلاً في هذا اللقب الجديد "لا"ومن أين جاء الاسم؟ ومن أين هذا المسمّى؟ فهذه شجاعة المتنبي وفرادته وحكمته وتمرده فقد قال: "لا"، في حين لا يعرف غيره أبداً هذا المصطلح أو المسمى حينذاك، وفي هذا المعنى دلالات ومعانٍ كثيرة استوعبها البردوني ووظفها بهذه التقنية وهذه الفرادة، وفي هذه الأبيات عودة لما قاله المتنبي:

---

(١) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (وجوه دخانية في مرايا الليل) ٩٦٥/٢ .

(٢) شرح ديوان المتنبي ٣٧٥/١.

(٣) الشعر الحديث في اليمن ظواهره وخصائصه الفنية، ٢٣٣ .

(٤) ديوان البردوني٩٦٦/٢ .

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي[1]

وقوله بعد أن تنكر لإبداعه قومٌ في مجلس سيف الدولة. وقد وصل بهم الزعم أن ينشروا خبر موته؛ وهو مازال حيَّاً يرزق "ويشيعون نهايته، وهو لم ينتهِ، فهو ساكن في ضمائر الجمهور، خالد في سفر الإبداع موجودٌ في ديوان العبقرية، وإن حساده يريدون شطب اسمه من سجل العظماء [2]، وقد رد عليهم بقوله:

يا من نعيتُ على بعدٍ بمجلسهِ كل بما زعمَ الناعون مرتهنُ
كم قد قتلتُ وكم قد مت عندكم ثم انتفضتُ فزال القبرُ والكفنُ
قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعةٌ ثم ماتوا قبل من دفنوا
لاتلق دهرك إلا غير مُكترثٍ ما دام يصحب فيه روحك والبدنُ
فما يدوم سرورٌ ما سررتُ به ولا يردُّ عليك الفائتَ الحزنُ
ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ[3]

وعلى الرغم من الحوار المكثف بين الشاعر وقناعه، إلا أن تقنية أسلوب القناع تقوم بدور الوساطة بين الشاعر وخطابه الشعري، بعد أن ظهرت تباينات بين الشاعر وقناعة من خلال هذا الحوار، غير أن ذهاب البردوني إلى هذا الأسلوب لم يكن عفوياً ولا من باب المصادفة بل تعمد ليكشف" ضرورة، ويقول البردوني:

أنعلو خيله نضاراً ليفنى سَيَّد الفقر تحت أذيال نعمى
(غير ذا الموت ابتغي من يُريني غيره لم أجد لذا الموت طعما
أعشق الموت ساخناً يحتسيني فائراً أحتسيه جمراً وفحما
أرتعيه أحسهُ في نيوبي يرتعيني أحسُّ نهشاً وقضما)
من تداجي يا ابن الحسين؟ (أُداجي أوجهاً تستحقُّ ركلاً ولطما

(١) شرح ديوان المتنبي ٣٢٢/١ .
(٢) ينظر: إمبراطور الشعراء (الشاعر والأسطورة) د ٠ عائض القرني، ٤١ .
(٣) شرح ديوان المتنبي، ٢٣٥/٤ .

كم إلى كم أقولُ ما لست أني؟ وإلى كم أبني على الوهم وهما؟
تقتضيني هذي الجذوع اقتلاعاً أقتضيها تلك المقاصير هَدما)
يبتدي يبتدي، يداني وصولاً ينتهي ينتهي يدنو ولّما
هل يرى غير ما ترى مقلتاهُ؟ (هل يسمي تورم الجفن شحما)؟

❖❖❖ ❖❖❖

فالشاعر ثائر على هذا الواقع ساعٍ إلى تغييره ولكن يفاجأ أنه يجد نفسه وحيداً في هذا الميدان بعد أن تغاضى الجميع عن الثورة، وهم القادرون على الثورة والتغيير، وعندما رأى الأمور آلتْ إلى ما آلت إليه من الضعف والخنوع والاستكانة عاد ليؤنب نفسه ويعاتبها، وقد صور معاناة المتنبي في مصر من الحمى ورمزيتها الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية)

في يديه لكل سينين جيمٌ بين ماذا وعمّا
لا يرى الذي يوافيه، يهوى أعنف الاختيار: إمّا، وأمّا
كل أحبابه سيوفٌ وخيلٌ ووصيفاته: أفاع وحمّى
(يا ابنة الليل كيف جئت وعندي من ضواري الزمان مليون دهما؟
الليالي – كما علمت – شكولٌ لم تزدني بها المرارات علما)[1]

فالشاعر يوظف موقف المتنبي وجهاده وثورته للإيحاء بحالة مماثلة يعانيها الشاعر المعاصر مع تأكيد الفارق، وهو أن شاعر اليوم هو من يسعى للتضحية، وأصبحت معاناة الشعب هي معاناته الخاصة.

كذلك نجد أن الجرس الموسيقي لحروف اللفظة يؤدي دوراً مميزاً وفاعلاً يثير الانتباه للمتلقي والشاعر معاً، ويمثل ضابطاً لإيقاع التدفق الآلي لانفعالات الشاعر بدرجة رئيسة، ويستوعب تجربة الشاعر، وفي الوقت نفسه يستوعب وجوده، ويقوم على هذا الحوار الدرامي الماثل في هذه القصيدة، كما أن استقلال أي كلمة بحروف معينة يكسبها ذائقة سمعية قد تختلف عما سواها من الكلمات التي تؤدي

(١) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (وجوه دخانية في مرايا الليل) ٢/٩٦٧- ٩٦٩ .

نفس المعنى مما يجعل كلمة دون كلمة ـ وإن اتحدا معنى- مؤثرة في النفس إما بتكثيف المعنى وإما بإقبال العاطفة بما يتيح للشاعر أن يلتقي مع قناعه حيناً، وأن يتجرد عن ذاتيته أحياناً، ليفسح مجالاً للتعبير عما تكنّه سعياً لمعالجة الواقع المعيش برؤية معاصرة لها أبعادها ودلالاتها.أو يكون التأثير بزيادة التوقع فهي أحياناً تصك السمع، وحيناً تهيِّئ النفس، وحيناً تضفي صيغة التأثر فزعاً من شيء أو توجهاً لشيء أو رغبة في شيء.. هذا المناخ الحافل تضفيه الدلالة الصوتية. وقد قال البردوني في مقدمته للقصيدة "ما ورد من الأبيات بين قوسين فهو على لسان المتنبي استخلاصاً من مواقفه، أو تضميناً من معاني أبياته"، فضلاً عن إشارات كثيرة طغت على القصيدة، "ويبدو أن جانب الاتفاق في الموقف بين التجربتين غالب على النصوص القناعية"[1] وقد أشار البردوني إلى كثرة أسماء الإشارات المتبعة على طريقة المتنبي وفي الأبيات الأخيرة ما يقودنا إلى قصيدة المتنبي التي قالها في مصر شاكياً الحمى التي تزوره في الظلام، ونقتطع منها أبياتاً للتمثيل:

وزائرتي كأن بها حياءً ... فليس تزور إلا في الظلام

يضيق الجلد عن نفسي وعنها ... فتوسعه بأنواع السقام

بذلتُ لها المطارفَ والحشايا ... فعافَتْها وباتت في عظامي

كأن الصبح يطردها فتجري ... مدامعها بأربعة سجامِ

جرحت مجرحاً لم يبق فيه ... مكان للسيوف ولا السهام[2]

فالبردوني لم يتخلص نهائيا من صوته الغنائي خلال تقمصه القناع الدرامي في هذه القصيدة، كما تبدو علاقة الشاعر بالتراث أكثر سعة وحضوراً وأوضح إفادة من جميع الشعراء.

ويبدو أن الاستعمال الأدبي المبدع قادر أن يفجر في الكلمة ذخيرتها المعنوية والمعرفية وحدودها النغمية والبنائية معاً بما يكشف عن إمكانيات في اللغة غير متوقعة وحقائق مجهولة داخل حياتها. ولذا نرى أن البردوني قد جعل اللفظة الشعرية

---

(١) القناع في الشعر العربي الحديث ـ دراسة النظرية والتطبيق ـ د. سامح الرواشدة، ص٨٩.

(٢) شرح ديوان المتنبي٤/١٤٦- ١٤٧ .

في هذه القصيدة قادرة على التحرك ضمن نسيج صورتها الكلية مع تعدد الدلالات التي لا تنفصل عن السياق الشعري العام.

أما من حيث المضمون فإن البردوني قد أفاد من مضامين المتنبي ووظفها وأضفى على رموزه دلالات معاصرة، وقد وفق من دون شك في هذا الاستخدام الفني، ولعل توفيقه يكمن في محاورة قناعه تارة وبالتعبير على لسانه تارة أخرى، ويمكننا أن نعد البردوني رائداً في هذه التقنية بعد أن طوّع شخصية قناعه بما يعالج الواقع المعاصر. وبعد أن أدرك البردوني أن القصيدة العمودية قادرة على استيعاب رؤية العصر وآفاقه وبأسلوبٍ يعبر عن الجوهر الجديد ويقدمه من خلال الربط التام بين التجربة المعاصرة والصورة التراثية.

وقد تقمص البردوني دور الراوي، ولكنه لم يكتف بذلك بل يتدخل ليحاور المتنبي في بعض مقاطع القصيدة بقوله:

من تداجي يا ابن الحسين؟ (أداجي ... أوجهاً تستحق ركلاً ولطما
كم إلى كم أقول ما لست أعني؟ ... وإلى كم أبني على الوهم وهما؟
(يا ابنة الليل كيف جئتِ وعندي ... من ضواري الزمان مليون دهما
الليالي كما علمت شكولُ ... لم تزدني بها المرارات علما

ويقول:

يا أبا الطيب اتئد": قل لغيري ... "اتخذ حيطة" على من وممّا؟
كلهم (ضبَّة) فهذا قناعٌ ... ذاك وجهٌ سمَّى تواريه حزما[1]

وقد وفق البردوني _كما يبدو – في استخدامه الألفاظ وهو يتحاور مع قناعه، وقد أكثر من الجمل الفعلية، وركز بدرجة رئيسة على الفعل المضارع، ربما لأنه أكثر قدرة على الحوار، فضلاً أن "لغة الدراما هي لغة الفعل المضارع، الفعل الذي يجري الآن ولّما ينقض بعد"[2] وهو الفعل الذي يستخدمه الراوي حين يلتقي بطله ليحاوره: غير أنه سرعان ما تعود الصياغة إلى الفعل الماضي عقب الانتهاء من

(١) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (وجوه دخانية في مرايا الليل) ٢ /٩٦٩
(٢) الشمس والعنقاء، ص ١٩٩ .

الحوار مباشرة وبصوت الراوية يمهد للأحداث الدرامية، ثم صوت المتنبي نفسه متحدثاً عن معاناته، وتتداخل بعض الأصوات الأخرى،ولكنها سرعان ما تختفي ليبقى فقط صوت الراوي والمتنبي، بل لا يكتفي البردوني بأن يقوم بدور الراوي فحسب، بل يحاور المتنبي في بعض مقاطع القصيدة، وهذا الحوار يولد صراعاً، ويولد حركة تنتقل من موقف لآخر يقابله. والحياة في مجملها قائمة على هذا الأساس الدرامي.

وفي القصيدة نفسها ما يجعلنا نستشف تجاوباً كبيراً بين النفس وبين إيقاعات الشعر أو موسيقاه لأن "موسيقى النفس تتوقف على موسيقى اللفظ، فكلما كانت الكلمات متآلفة المقاطع متناسقة الأصوات اشتد تأثيرها في العقل، وحسن وقعها لدى لنفس، وذلك بموسيقاها العذبة، ونغمها الجميل.. وما ذلك التأثير إلا نغم النفس الناشئ عن ارتياحها وسلوكها مسلكها الطبيعي الخالي من الدهشة والاضطراب" [1]، وقد استطاع البردوني أن يكوّن هذا الإيقاع من الأصول التراثية النابعة من أوزان الخليل بن أحمد التي لم يحد عنها وفي الوقت نفسه لم يقفل ثمة إيقاع يضعه البردوني تبعاً للتجربة ويستسيغه الذوق العام ويحس به إحساساً جميلاً، وهذا ما نلمسه في كثير من قصائد الشاعر التي أثبتت أن هذه القصيدة من عنوانها حتى خاتمتها تمثل "أنموذجاً للعدول عن الغيبة إلى التكلم والعكس . وتعد من قصائد (القناع) بمعناه الواسع فقد تقنع فيها البردوني بالمتنبي، وتوزعت مقاطعها بين الغياب والحضور (هو – أنا) على الرغم من وجود ضمائر أخرى ماشية"[2].

والقصيدة طويلة تتكون من اثنين وثمانين بيتاً، ورد اثنان وعشرون منها بين قوسين وهذه الأبيات جاءت على لسان المتنبي تجسيداً لمواقفه أو تضميناً أو إشارة لمعاني أبياته، أما بقية الأبيات فهي بلسان الراوي الشاعر البردوني، وقد ورد في القصيدة أكثر من ثلاثين استفهاماً، وهذا الإكثار يعطي للنهي قيمة فنية ودلالية في سياق النص. ولا ريب في أن النص يقودنا إلى محاور كثيرة يتصدرها ما تعانيه

---

(١) دراسات في علم النفس الأدبي، حامد عبد القادر، ٩٣.

(٢) شعر البردوني دراسة أسلوبية سعيد الجريري (رسالة ماجستير) ص٥٧ .

الأمة من سجن وتشريد وإعدام . والبردوني يحاور المتنبي ويستفيد من تفصيلات حياته ومواقفه، ومضامين شعره بما يفصح عن علاج لهذا الواقع .

وقد "يبدو الحوار في هذه القصيدة لشدة تكثيفه، وعدم تحديد هوية الصوت الذي يحاور البطل كأنه حوار داخلي بين البطل وذروته وهو ما توحي به المراوحة في استخدام (الفعل) بين الماضي – صوت الراوية – وتجسيد الحدث باستخدام الفعل المضارع – صوت البطل"[1]، وهو الصوت الذي أفصحت عنه" العلاقة بالبطل العربي سيف الدولة، وهو شاهد على بطولاته بل هو الذي صاغ صورة سيف الدولة شبه الأسطورية، حين تجاوزت العلاقة بينهما حد المدح والتكسب إلى حد الإعجاب وحين فجرت معارك سيف الدولة أعلى مشاعر القوة عند المتنبي فصاغ منها أعلى القصائد إيقاعاً ولغة وخطاباً "[2]، وجعلها تسطر في التاريخ أنصع صفحاته، وأروع صور البطولات وأنبلها.

وقد اعتمد النص على أسلوب المزاوجة بين أسلوب السرد والحوار واضعاً أزمة قناعه وأزمته – أي البردوني في الصدارة عامداً إلى كشف النص أمامنا، بقوله:

(هل أقولُ الزمانُ أضحى نُذيلاً؟ ربما قلت لي: متى كان شهما؟
هل أسمي حكم النَّدامى سقوطاً؟ ربما قلت لي: متى كان فخما
أبتغي يا سيوف أمضي وأهوى أسهماً من سهام (كافور) أرمى[3]

لذلك فإن هذه القصيدة قد تجاوزت الغنائية عن طريق الحوار والتجسيد والموضوعية مع علمنا أن البردوني قد سخَّر إمكاناته كلها حتى أخرجها على تلك الصورة الإبداعية ليؤكد أن "حداثة القصيدة العربية لا تكمن في خروج الشاعر العربي على الوزن والقافية، بل تتمثل حقاً في انعطافاته الكبرى لبلورة رؤيا خاصة

---

(١) الشعر الحديث في اليمن ظواهره وخصائصه الفنية، ص٢٢٤ .

(٢) الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث، د. خالد الكركي، ص٢٢٧.

(٣) ديوان عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية (وجوه دخانية في مرايا الليل) ٢/٩٧٠.-

بـه، ومـا ترتـب علـى ذلـك مـن بحـث عـن رمـوز وأسـاطير وأقنعة، يجسد فيهـا، ومـن خلالها رؤيا ويمنحها شكلاً حياً ملموساً"[1].

ولا ريب في أن هذه القصيدة قد تميزت عن قصيدة القناع التي وظفتها القصيدة الجديدة، وربما يعود ذلك إلى أن البردوني قد تأثر بقصائد القناع التي اتخذت من المتنبي قناعاً[2].

وتأسيساً على هذا فإن البردوني هو رائد قصيدة القناع في الشعر العربي (العمودي)، فقد استخدم القناع الشعري بوعي نظري وتطبيقي تام، والأنبل من هذا كله أن يجعل قناعه يتحدث ويتحاور وينفعل حيناً منفرداً وآخر مع تداخل الصوتين وغالباً ما كان ذلك يقترن بتقنيات الأداء الدرامي، ولكن هذا لا يعني أن صوت الشاعر الغنائي قد اختفى، فالبردوني لم يتخلص نهائياً من صوته الغنائي خلال تقمصه القناع الدرامي في هذه القصيدة، كما تبدو علاقة الشاعر بالتراث أكثر سعة وحضوراً وأوضح إفادة من جميع الشعراء.

أما القصيدة الجديدة فقد أصبح التراث عندها بناء عضوياً ينمو من خلالها وهذا أقصى غايات التفاعل بين صوره ومضمونه.. ولم يقف عند هذا فحسب بل أصبح الرمز التراثي قناعاً يتقمصه الشعراء ويسقطون من خلاله أبعاد رؤيتهم الشعرية ويتمثل ذلك بدرجة رئيسة في شعر المقالح، إذ ساعدته موهبته وقدرته في ذلك من خلال توظيفه لكثير من جزئيات مواقف المتنبي وأحداثه وغيرها.. في قصيدته (من تحولات شاعر يماني في أزمنة النار والمطر) نجد أن المقالح قد جمع في هذه القصيدة أكثر من تجربة، ولم تفته تجربة المتنبي، إذ يقول :

بكى الشعر مستمطراً أرعدت في الصحارى القوافي.
وكان الرجال ينادونني (المتنبي) هذا هو اسمي الجديد،
وفاتنتي هي (خولة) أخت السيوف. تذكرت حين بدا ضوؤها

---

(٤) الشعر العربي الحديث رموزه وأساطيره الشخصية ،ص ٥٦ .

(٢) ينظر: ديوان عبد الوهاب البياتي ١/ ٧٠١ والأعمال الكاملة لأمل دنقل ص١٤٧ وديوان حصار لمدائح البحر لمحمود درويش، ص٣٧ .

(روضة) القلب.. نفس العيون التي ترقد الشمس خلفَ بساتينها تستريح من السفر السرمدي كان وجهاً نبيَ الملامح، جفّت عليه قُروحُ الشتاء، وإن حجبت شمسه صُفْرَةٌ من ذبول الخريف؛ فأورق حبي، تفجر من عُمقِ أغوارهِ نهر شعري. وفوق حدائقِ فتنتها أثمرت كلماتي.. رأيت القصائد طالعةً من دمي كالسنابل في غابة الشمس [1]

ولم يقف الشاعر عن تقمص هذه التجربة العظيمة، بل إنه ضمن بيتي المتنبي تضميناً كاملاً، وفي القصيدة نفسها يقول الشاعر المقالح :

فديناكَ من رَبْعٍ وإن زدتنا كَرْبا فإنَّك كنتَ الشَّرقَ . للشمس . والغَرْبا

وكيفَ عرفنا رسمَ من لم تدع لنا فُؤَاداً لعرفانِ الجمال ولا لبَّا

ولكن شمساً حلمت بها لم تعش في الشام طويلاً، فقد باعني الخوف للنيل، ضيعني موجه، وتنكر لي قصر "خوفو" تساقط في سجنه عَظْمُ شِعري. رجعت إلى المنزل المستباح .. [2]

وإذا كان المقالح قد تمكن بشاعريته الفذّة من استخدام القناع في عدد من دواوينه، فإنه في قصيدته "تداعيات الليلة الأخيرة للمتنبي في مصر" تقمص شخصية المتنبي، واتخذ منها قناعاً ليعبر به عن تجربته، وموقفه العربي القومي، فقد رفض المقالح اتفاقية "كامب ديفد" الاستسلامية، مما أدّى به الأمر إلى مغادرة مصر، هو وعدد من زملائه الطلاب اليمنيين، وغيرهم من الطلاب العرب الذين كانت لبلدانهم مواقف من هذه الدعوة المشينة وبطريقة تتنافى مع أخلاقيات مصر ولا تتناسب مع الحب الكبير الذي يكنّه المقالح لها ولأبنائها، فهي تتجاوز القيم والأعراف والتقاليد، وإذا ما تجاوزنا المقطع الأول المليء بعبارات الوصف وأساليب الاستفهام،

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الكتابة بسيف الثائر علي بن الفضل) ٦٠١/٢ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة (الكتابة بسيف علي بن الفضل) ٦٠١/٢، والبيتان في شرح ديوان المتنبي١/ ٥٣، وقد وردت في الديوان (الرسوم) وليس الجمال في البيت الثاني.

فإننا لا نستطيع أن نتجاوز المقطع الثاني، والذي تكشف لغته عن تمرد الشاعر على حكام العصر، ووهنهم وإخفاقاتهم، وغيرها من المزايا المشينة، والقيم الغريبة التي تجمع بين المتناقضات والمفارقات التي تؤكد رداءة الوضع غير المعتاد، إذ يقول:

قادتني قدماي إلى النهر،

وجدت النهرَ يسير

ويعكسا المجرى

قلتُ لعرّافةِ وادي النيل :

هذا زمن الأسماء المقلوبة،

والأشياء المقلوبة..

زمن السلم / الحرب

زمن الصلوات / الصفقات

سمعتني مرآة مالحة

وغادرني ماء الأمن الذهبي اللون،

فأخفيت قصيدتنا في الحلم

وملمت حروف المطر القادم في ذاكرتي [1]

وقد تمكن الشاعر من خلال قناعه أن يعبر عن فلسفة واقعية تجمع بين الأضداد والمتناقضات في عصرٍ هو أهل لكل ذلك التناقض، فيتوجه الشاعر من خلال قناعه إلى وصف الوضع بثنائية متداخلة في (السلم والحرب) و(الصلوات والصفقات) مما يشي بوضع النقيض إلى جوار نقيضه، إذ يجتمع السلم والحرب معاً وتجتمع الروحية والمادية الزائفة، ومن هنا كان رفض الشاعر لذلك كله"[2].

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية)، ٢/ ٥٣٠. – ٥٣١ .

(٢) استلهام التراث في شعر عبد العزيز المقالح، ص ،١٦٤.

obeikandl.com

ويفيد الشاعر من الجزئية التاريخية التي ربطت بين "المتنبي" و"كافور" متخذاً منها الموقف العدائي بينهما ،وعلى وجه التحديد أهاجي المتنبي لكافور، والتي تتواءم مع التوظيف الجديد للقناع داخل هذه القصيدة بما يعكس الموقف الذي قوبل به الشاعر في مصر من عداء ومطاردة، فضلاً عما سببته الاتفاقية من ضعف وإهانة، وتصدعٍ وشتات للأمة العربية والإسلامية لم تعرفه في تاريخها أبداً فقد تجرَّعت الأمرين، فالوضع المعاصر المشين الذي نعيشه اليوم هو من إفرازاتها المنهكة، ولعل تركيز المقالح على تداعيات الليلة الأخيرة للمتنبي في مصر أمرٌ في غاية الأهمية سواءٌ من حيث تحديد موقعه الرافض وإشهاره بوجه الأعاجم أو من إشعال ثورته الهجائية الكبرى بوجه كافور، وهذه المواقف تتطابق مع ما يومئ إليه المقالح، إذ يقول :

وصحوتُ

على صوت"الكلب"

الخارج من أحذيةٍ

يثقبها "كافور" إذا جن الليل،

ويرسلها باسم السلطان

لكي تبحث عن صوتٍ يتلفّع بالحزن،

ويبحث في وجه الليل،

عن القمر الغائب

عبر مساحات باهتة

ومعلّقة فوق شظايا الأرض

على مسمارٍ من كلمات الصحف

الصفراء

وفي عيني أسلحةٌ

وشوارع في السير،

و"كافور" القرصان الهابط

من مقبرة الخيل..

يحدق بحثاً عن وجهي في الليل.. [1]

ويفيد الشاعر من روح التمرد والطموح التي اتسم بها "المتنبي" لينقل من خلالها ما يتلاءم مع شخصية القناع من جرأة الموقف التي يعززها الشاعر، لأنه يبدو جانب الاتفاق في الموقف بين التجربتين غالباً على النصوص القناعية، وهذا المنحى يوظفه المقالح في قوله:

غمست يدي في ماء الصدق،

وقلت انتفضي يا كبد النعش،

اقتربي،

اقتربي،إني مصلوب في خيط رحيلي

كيف أعود إلى وطنٍ لا يملكه أهلُوهُ؟[2]

وإذا كان الطموح والموقف والجرأة والشجاعة وغيرها من المواقف النبيلة التي عرف بها المتنبي، فضلاً عن شاعريته الكبيرة التي جمعت بين أعداء المتنبي وحساده حتى تمكنوا من قتله، وقتل الطموح العربي، فما أشبه الليلة بالبارحة فطموح المقالح ومواقفه كثيراً ما أشقته وأنهكته، وإن لم تغتلْه أيادي الغدر، فقد اغتالت آماله.. آمال أمته وطموحها،وعلى الرغم من هذا مازال الخطاب يتعاظم في حدته الثورية ليشكل إنذاراً أو دعوة عازمة على المواجهة:

إن الزمن المتوهج

في لغة الموت يصيحْ:

ويلٌ للشيطانِ

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية) ٢/٥٣١ ـ ٥٣٢.

(٢) م. ن٢/٥٣٢.

obeikandl.com

وللباشا وللحاخام،

يوم تكونُ القارعة الكبرى،

وتقول القدس: صلاةً جامعةً

ووضوءاً بالماء الأحمر![1]

و على هذا النحو وفق المقالح في اتخاذ شخصية المتنبي قناعاً حقق به وظيفة فنية تعتمد على الرؤيا للتجربة الشعرية.

وفي القصيدة نفسها نجد المقالح يضمن معنى بيت المتنبي :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد[2]

في قوله :

في اليوم السابع نامت مصر،

ونام النيل

ونام (الهرم الأكبر)

والصحراء

ونام (أبو الهول)،

وصوت (السدُّ)،

وقبر الفارس،

ونامت كل نواطيرها

لكن الشارع يستيقظ

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية) ٢/٥٣٧.

(٢) شرح ديوان المتنبي ٢/٤٣.

obeikandl.com

يخلع أكفان النوم

يغادر ساحته يخرج من أعماق الرؤيا

يتوسع ..

يدخل في الفعل

ويشرب ماءَ رصاصٍ منقوع

في أقبية الأمن المذبوح

وتخرج مصر من النوم

ويغسل ناسٌ عينيها من رمل الحزن[1]

وقد نكتفي بتعليق الدكتور سامح الرواشدة على هذا النص، إذ يقول "فالمقالح في هذا النص يجعل مصر والنيل والهرم والصحراء وأبا الهول والسد، وقبر الفارس نواطير للوطن، وعدّها رموزاً للصدق والأمانة، ثم عدّ رموز السلطة ثعالب طامعة بخير الوطن وثماره، فرأى هذه الرموز الطيبة نائمة عن مسؤوليتها، ومتخلية عن رسالتها مما ترك الثعالب حرة التصرف بخيرات مصر، وهذه الدلالة شبيهة إلى حد بعيد بما رآه المتنبي حين رأى مصر مهملة لكافور ورجاله وهم الثعالب الذين قصدهم المتنبي قديما"[2].

فالشاعر يصور الأمة العربية وهي في حالة من الوهن والركاكة والانكسار، لاسيما وأن القطر العربي (مصر) الذي يتزعم هذه الأمة ويدعم نضالها القومي والتحرري، قد ارتمى فجأة في أحضان أعداء الأمة الكيان الصهيوني الدخيل الذي اغتصب أراضي عربية منذ ١٩٤٨م، وكان لهذا التطبيع أثر في التصدع العربي، فضلاً عن الغفلة والجهل والصمت الذي خيَّمَ على الحكام العرب، ويبدو أن شاعرنا قد وفق في تصويره الذي جعل من هذا الصمت والنوم إيقاظاً للشعب العربي في

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة (الخروج من دوائر الساعة السليمانية) ٥٣٩/٢ – ٥٤٠ .

(٢) القناع في الشعر العربي الحديث، ١٨ .

obeikandl.com

استرداد أرضه وحقوقه المشروعة، وقد ارتكب العدو الصهيوني بحق العرب عدداً من المآسي والمجازر والآلام، ودمر وأحرق، وانتهك مقدسات وأعراض الأمة، ومارس أبشع ويلات العذاب والتنكيل بتأييد غربي واضح، فضلاً عن التواطؤ العربي والضعف والاستكانة والتخاذل الذي أبداه الحكام العرب، إذ لم تحرك مؤتمراتهم ساكناً واحداً، وهذا هو الذي جعلهم في وضعٍ لا يحسدون عليه، وفي حالةٍ يرثى لها .ولعل ما لفت انتباهي في هذا البحث أن الشاعر اليمني المعاصر قد تأثر بشعر المتنبي، وكان هذا جزءاً من مقصده، وقد كان ذلك رافداً لتقنيته الفنية وغاياتها ووظيفتها . وقد تتعدد الرموز في القصيدة الواحدة وهذا الأمر قد يمنح القصيدة الجديدة قدرة جديدة وأداء متميزاً بالشكل مما يجعلها قادرة على أن تبقى في ذاكرة المتلقي جذوة متوقدة تنير له جوانب الحياة الجديدة.

وقد شاءت الأقدار أن يكون ديواني الرابع (قبسات من جهادية المتنبي) خير من يعبر عن المتنبي، وقد وطئت بتوطئة عن هذا الشاعر، وفي سياق هذه التوطئة قلت: " لهذا أحببت أن أوضح للقارئ الكريم شيئاً من حياة الشاعر العظيم،حتى يتمكن من استيعاب قصائد ديواني هذا، والذي يبدو وكأنه وقفة من الوقفات النقدية المهمة التي تربط بين التراث والمعاصرة، ولما كان الديوان يتجهُ صوب المتنبي وشعره العربي الخالد، فقد كانت قصائد ديواني في مقدمة تلك الاهتمامات، ولأنَّ الشاعر المتنبي يمثل بقصائده ومواقفه وجه العرب المشرق في الشعر والبطولة والجهاد، فقد كان الدافع الرئيس لجعل ديواني الشعري الرابع عن هذا الشاعر العملاق الذي شغل الناس وملأ الدنيا، وكان لتوظيف هذا الرمز في ديوان كاملٍ لبادرة عظيمة واستجابة مثلى لرجلٍ سخر كل إمكاناته النضالية والفكرية والجهادية لمصلحة الأمة، فقد حمل على هامه قضاياها المصيرية، وجاهد أعداءها بسيفه ولسانه مجاهدة الأبطال، وأدرك أعمق الإدراك مسؤوليته التاريخية في التاريخ والجهاد .

وعلى هذا الأساس انطلقت رحلتي في عالم المتنبي؛ وحياته الجهادية، وقد كانت رحلتي هذه جميلة وشائقة وممتعة مع شاعر عربي كبيرٍ كان الأعاجم هم

مأساته، وحسه العربي يطغى على ما سواه بعد أن أصبح الأعداء في كل مكان، الروم أعداء والبويهيون أعداء، وقد وضح ذلك في قوله:

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميلُ[1]

وهو يندب حظ العروبة بين هؤلاء العلوج وأفعالهم المشينة، وحقدهم الدفين على الأمة، إذ قال:

وإنما الناس بالملوك وما تُفلِحُ عُرْبٌ ملوكها عجم[2]

لقد عاش المتنبي في عصر تأزم فيه النظام السياسي للأمة العربية، وبدأ ينحدر ويتراجع الشموخ ويتهاوى بعد أن تصدعت الدولة العربية، وشكلت على أنقاضها مجموعة من الدويلات المتنازعة وبات الخليفة في معظمها أداة طيعة بأيدي العلوج الأعاجم، لا همّ لهم إلاّ التنكيل بكل ما يمت إلى العروبة بصلة".

"وعلى هذا لم يكن أمامي من بد من اللجوء إلى شعر المتنبي، لأن في شعره ما يلبي هذا الطموح لما فيه من عنفوان ثوري وجهادية فاعلة، فكان المحفز لي في نشر هذا الديوان مستفيداً من مضامين قصائده، والتي كانت من دون شك مورداً عذباً استقيت منه قصائد ديواني (قبسات من جهادية المتنبي)، لتؤدي دورها في استثارة أبناء الأمة لإذلال الخصوم والاستهانة بهم، فضلاً عن الوشايات وخطرهم، وبصورة مستمدة من رؤى الأحداث المعاصرة (فما أشبهَ الليلة بالبارحة).

وقد كتب مقدمة الديون الدكتور حسن دخيل الطائي، وقد أحببت أن أسجل ما كتبه في هذه المقدمة كاملاً لكي لا أكون معلقاً على ما كتبه طالما والأمر يعنيني، ولكي يتواكب مع ما نحن بصدده من أثر المتنبي، وقد قال الدكتور الطائي في تقديمه :"أطلعت على ديوان أخي وزميلي الأستاذ الفاضل الدكتور فضل ناصر مكوع والموسوم بـ (قبسات من جهادية المتنبي) وأعجبت بما تضمنته هذه المجموعة الشعرية من معان وأفكار، وما نبضت به من عواطف ومشاعر أظهرت ما يتمتع به الشاعر من موهبة مبدعة ومقدرة فائقة في أدائه

---

(١) شرح ديوان المتنبي٣/٢٣٨؟

(٢) م.٤/٥٩

الشعري، وهو ينشد هذه الأبيات الشعرية التي تزخر بحب اليمن والعروبة والإسلام وتنير الطريق أمام الأجيال العربية لاقتفاء منهج شاعر العرب الكبير أبي الطيب المتنبي، والداعي إلى التمسك بقيم العروبة والأخذ بناصية المجد والرفعة والشموخ، ورفض الذل والخنوع . أجمل ما في الديوان هذا التلاقي في الرؤى بين المتنبي والشاعر الدكتور فضل ناصر مكوع فكلاهما نذرا نفسيهما في خدمة العروبة، وعملا على إعلاء شأن العرب والذود عن حياض الأمة بشعرهما . فقد أفنى أبو الطيب حياته وهو يدعو إلى إحياء القيم العربية الأصيلة، وإلى إيقاظ الرقود بعدما أسمعت كلماته من به صمم، وهو يحضُّ أبناء العروبة إلى الإمساك بالرفعة والعلو وإلى بذل التضحيات من أجل ذلك فيقول :

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيم[1]

وتبدو الرؤية المشتركة بينهما في خطر الأعاجم وما فعله هؤلاء الأعاجم في إثارة الفتن والاضطرابات وتمزيق النسيج الاجتماعي لهذه الأمة بما أثاروه من نعرات طائفية وعنصرية زائفة وتحويل الأمة إلى دويلات متصارعة، وتعمل على أضعافها من أجل أن يتمكن هؤلاء الأعاجم من تحقيق إطماعهم بنهب خيراتها والتحكم بمصير أهلها، والعمل على إذلالهم وفي ذلك يقول المتنبي :

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميلُ[2]

تظهر الحرقة وخيبة الأمل واضحتين في شعر المتنبي وهو يرى الأعاجم يتسللون إلى الحكم، ويغلب العرب على أمرهم، وبعدما يصبحون تحت رحمة الأعاجم حينها يرى أن العرب لا يفلحون في ظل هؤلاء الأعاجم فيقول:

وإنما الناس بالملوك وما تُفلِحُ عُرْبٌ ملوكها عجم[3]

---

(١) شرح ديوان المتنبي ١١٩/٤

(٢) م.ن ٢٣٨/٣؟

(٣) م . ن٥٩/٤

فقد استطاع الدكتور فضل ناصر مكوع بما عرف عنه من رؤية ثاقبة وموهبة متوقدة ورأي سديد أن يجد صلة وثيقة بين الأمس الذي عاش في ظله المتنبي وبين اليوم الذي عاش فيه الشاعر مكوع وكأنَّ التاريخ يعيد نفسه، فقد رأى أن الأخطار التي أحاطت بالدولة العباسية أيام عزها وكانت سبباً في تدهورها وانحلالها، وتمهيد السبيل أمام الأعاجم ليربضوا على صدورها ويخنقوا أنفاس أبنائها، ويتحكموا بمصيرهم هي نفسها التي تواجه عرب اليوم وما عليهم إلاّ أن يأخذوا الدروس والعبر من الماضي لينقذوا هذه الأمة، وهذا ما دعا إليه الشاعر فضل مكوع في مجموعته الشعرية، وهو يطلق الصرخات المدويّة التي تدعو أبناء اليمن خاصة وأبناء العروبة والإسلام عامة إلى أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا، وأن يترفعوا عن كلِّ ما يحط من قدرهم، وأنَّ يتمسكوا بثوابت العروبة والإسلام وقد عبّر الشاعر مكوع عن حبِّه لليمن، فأظهرت هذه المجموعة أنه هو ابن اليمن البار الذي تغنى بحبها وعشق كل شيءٍ فيها، وحب اليمن تجسد في عروقه، ونبضت بهذا الحب كل قطرة من قطرات دمه، والجميل في الأمر أنه يمزج بين حب اليمن والعروبة فنجده يقول:

ويا روح يمنات معي دندني ... ويا روح ريدان ردِّي السلام
حذارِ حذارِ نجوم السُّهى ... ولا تحرمِ النور بدر التمام
شربنا من العزِّ من زمزمٍ ... ومن مأربٍ للرضاء ابتسام[1]

لقد أحب فضل مكوع العروبة، ورأى أنَّه جزء من وطن كبير، وأمة عظيمة، كرّمها الله عزَّ وجل بالنبوة والإسلام يوم أصطفى النبي محمداً خاتم أنبيائه، وشرَّف العرب بحمل هذه الرسالة السماوية ونشر أنوارها على البشرية، فكان الشاعر فضل مكوع شديد الغيرة على أمته، فجاء شعره زاخراً بالمعاني الجهادية، وهو يعبر عن التحديات التي تحيق بالأمة العربية بصور شعرية مؤثرة، فقد وضع يده على جرح الأمة وأمسك بالعلاج الناجح، ودعا أبناء الأمة إلى الأخذ به فقال:

---

(١) قبسات من جهادية المتنبي، ص ٨ .

وحـــــلَّ الـــــشتات وأنواعـــــهُ وتـــنهش عـــصري ذئـــاب المكـــانْ
سمـــــوم الأفـــــاعي وأنيابهـــــا تبـــثُّ مـــن الأجـــنبي الجبـــانْ
أنـــادي أصـــيحُ وحيـــداً أنـــا للـــمِّ الـــشتات بعـــد الهـــوانْ [1]

وتذكرني هذه القصيدة بما قاله بدر السياب في قصيدته (وصية من محتضر) التي قال فيها:

لا تكفروا نِعمَ العراق

خير البلاد سكنتموها بين خضراءٍ وماءٍ

الشمس نور الله تغمرها بصيفٍ أو شتاء

لا تبتغوا عنها سواها

هي جنَّةٌ فحذار من أفعى تدبُّ على ثراها [2]

وبرع الشاعر فضل مكوع في التغني برموز الحضارة اليمنية والعربية، ووظف بعضها للتعبير عمَّا يجول في خاطره من معاني شعره، لتجسد معاني الأمة الأصيلة في الرقي والنهوض والتقدم، ورفض الذل والخنوع، والدعوة إلى القيم العليا التي تنهض بواقع الأمة، ومجد من رموزها سيف الدولة الحمداني الذي حمى ثغور الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي المتاخمة للروم البيزنطيين الذين شكلوا خطراً دائماً على العروبة والإسلام، ورفع رأس العرب عالياً، وأذلَّ الروم الطامعين، فقال:

(أيـــا ســـيف ربـــك لا خلقـــه ويـــا ذا المكـــارم لاذا الـــشطبْ
وأبعـــد ذي همـــة همـــة وأعـــرف ذي رتبـــةٍ بالرتـــب)
وحـــافظ علـــى النـــصر يـــا ســـيفنا حـــذار الوشـــايات أن تقـــتربْ [3]

وقال في خولة أخت سيف الدولة:

---

(١) م . ن ،٨_٩

(٢) ديوان بدر شاكر السياب، تقديم ناجي علوش، دار العودة بيروت ٢٨٢/١ ـ ٢٨٣.

(٣) قبسات من جهادية المتنبي، ص ١٠.

obeikandl.com

وما ساءني غير ما قد سمعتْ ... يقولون شمسٌ عنا اختفتْ
ويا ليت هذا من المرويات ... على هامش الشعر قوافٍ صغتْ
وإن كان حقّاً فيا حسرتي ... على من فقدنا ومن قد مضتْ
ونفسي من الحزن في مأتم ... فطارت إليها وكم قد هوتْ
شرقتُ بدمعي وفي عبرةٍ ... وقلبي تشرد وروحي غفتْ
وأمسى العراق بأحزانه ... كأن الحياة بها غادرتْ
فكيف بسيفٍ وأحوالهِ؟ ... وكيف البلاد التي أنجبتْ؟
ويا موت قل لي بمن قد ظفرت؟ ... وكم قد حصدتَ؟ ومن أهلكتْ؟
أتيت إلينا وفي غفلةٍ ... وأختُ السيوف بها قد ظفرتْ
إلى جنة الخلد يا خولةً ... من بعدكم نفسنا غادرتْ
وبشراك يا قلب لا تبتئس ... لأني أرى الشمس قد أشرقت
وطلّت علينا بإشراقها ... ومن نورها روحنا ارتوت
فأخت السيوف هي لم تمت ... وهذي الحياة قد جددت[1]

وهزَّت الوقائع التي انتابت الأمة الشاعر فضل مكوع فتفاعل معها، وكأن صوته المدوي اليوم يحكي لنا صوت المتنبي في عصره، فقد أخذته الحمية على أمته فسخر شعره لخدمتها، فدعا إلى الوحدة وندد بالفرقة والشتات والضياع والتخاذل فقال بعد أن تقمص شخصية المتنبي وقد ضمن البيتين الأولين من شعر المتنبي قصيدته المعنونة ب(عودة إلى العراق) :

(لتعلمُ مصرُ ومن بالعراق ... ومن بالعواصم أني الفتى
وأني وفيتُ وأني أبيتُ ... وأني عتوتُ على ماعتا)[2]
إلى غاية المجد يا وحدتي ... ويا وحدة النصر لبيّ الندا
ويا نبضة القلب لا تيأسي ... تغذي بنور وبشرى الهدى
ومن نور مجدٍ إلى جنَّةٍ ... تداوي الأماني بروح الفدا

(١) م. ن، ص١٢.

(٢) شرح ديوان المتنبي ٣٦/١ - ٤٢.

ويـــا رافـــدي العـــراق ابـــشرا أبـــو الطيـــبِ قـــد جـــاءكم منـــشدا
وجـــــاء يجـــــدد أهدافـــــهُ للـــمِّ الـــشتاتِ وضـــرب العـــدى
وهـــذا البـــويهي وخـــصمي أنـــا ومـــن جـــدّ لابـــدَّ أن يحـــصدا[1]

وأظهر الشاعر فضل مكوع مقدرة شعرية فائقة في تمثل روح المتنبي والتعبير عنها بعد ما أضفى عليها شيئاً مهماً من روح المعاصرة مما جعلها تنبض بالحياة وتعبر عن أهم جوانبها.

كذلك أعجبني الشاعر وهو ينحو في بعض قصائده منحى دراميًّاً جميلاً، ولو عمل مكوع على تطويرها وإنضاجها لأصبحت قصائد مسرحية جميلة، ويبدو ذلك واضحاً في قصائده التي أدار فيها حواراً شعريًّاً بين المتنبي وكافور، وبين المتنبي وسيف الدولة، عبَّر من خلال هذه الحوارات عن إبراز المعاني الشعرية التي يقولها بصورة جميلة.

المتنبي:

إلى مـــــصر أسمـــــو وكافورهـــــا أبـــا المـــسك جئنـــا نريـــدُ الأمـــلْ
حببـــتكَ قلـــبي منـــذ الـــصبا ومـــن قبـــل حـــبِّ لـــسيف البطـــل
ولكـــــن أســـــاء إلى شـــــاعرٍ فـــأرجوك يـــا خيلنـــا تحتمـــلْ
أبـــا المـــسك نـــصراً لـــضرب العـــدى وأرض الـــسواد طلبـــتُ فهـــل؟
وتعلـــم بـــأن العـــراقَ لنـــا وفي عـــصرنا ذا ومنـــذ الأزل [2]

كافور الإخشيدي:

أبـــا الطيْـــب مـــا تبتغـــي حاضـــراً ودار الـــسلام لكـــم يـــا رجـــلْ
وطمعـــي بفـــيضٍ مـــن بمـــا عنـــدكم يكـــون الجمـــال أســـاس الحلـــل
فـــلا خـــوف ينتـــابكم آبـــداً ويأتيـــك مـــدحي جمـــيلاً جـــزلْ

---

(١) قبسات من جهادية المتنبي، ص١٤.

(٢) قبسات من جهادية المتنبي، ص

لأنـــي تعلمـــت مـــن غـــربتي ... معـــاني دلالاتهـــا لم تـــزل
وعـــشت غريبـــاً بـــلا مـــوطنٍ ... ومـــن غـــير أهـــلٍ ومـــن دون خِـــلْ
قُتلـــتُ وكـــم موتـــةٍ عنـــدهم ... وعـــادت حيـــاتي وغـــاب الأجـــلْ
ومـــن قـــد شـــهد مـــنكمُ موتنـــا ... دفنـــاهمُ قبـــل مـــوت البطـــلْ
متـــى يـــدرك المـــرءُ أهدافـــه؟ ... وآمالـــهُ في الثبـــاتِ جبـــلْ
بمـــصرٍ أبـــو المـــسك قـــد زرتـــهُ ... حيـــاتي ونـــصحي وفجـــري أطـــلْ[1]

وقد علق الناقد الشاب والمبدع زكي الفليس عن ديواني (قبسات من جهادية المتنبي) بعد قراءة نقدية عميقة للديوان بقوله:"شيءٌ واحد يشترك فيه العظماء سواءٌ كانوا فلاسفة أو شعراء، أو قادة أو أنبياء،هو تغيير العالم،ولأن العالمين العربي والإسلامي كانا هرماً ثملاً،راكداً تداركه الله بصهيل أبي الطيب في العراق،والشام ومصر في محاولة لزلزلته شعراً. وهذه المعلقة نظمت لتحكي شتات وتفرق الأمة والسعي لتوحيدها بطواف شاعرها، ورغم ما تحمله من تصورٍ مثالي مطلوب إلا أنه ليس تصوراً مَرَضياً تابعاً من دون كيشوتية متوهمة بل هو تصورٌ صحي لنفسٍ كبيرةٍ أبداً تشمر للحج، استطاعت موسيقى المتقارب أن تعبر عن ضربات قلب صاحبها الطموح العجل بقصائد ومعارضات،وبآيات من أسفار المتنبي نفسه لتشكل وحدة فنية داعية إلى وحدةٍ أشمل بين الإسقاط والاستحضار، كإسقاط"الحلاج"عند صلاح عبد الصبور،واستحضار "المعري"عند العقاد،في محاولة أدبية للنقد والتثوير.

وفضلُ الشاعر علينا في معلقته كفضل أبي الطيب على حساده في سيفياته.

فمـــا كـــل هـــاوٍ للجميـــل بفاعـــلٍ ... ولا كـــل فعَّـــال لـــه بمتـــيَّمِ

ويكفي أن المتنبي مازال حياً يرزق وكذلك سيف الدولة وأخت السيوف ولعل الحوار الأخير للمتنبي مع شعراء العروبة والإسلام في العصور المتأخرة والعصر الحديث لدليل قاطع على استمرار الجهاد ومكافحة الأعداء، فقد حاور شعراء

(١) قبسات من جهادية المتنبي، ص١٥.

العصر الحديث الذين عرفوا بالتمرد والثورة وحبهم للجهاد والحرية، وقد وفق الشاعر مكوع أن يختتم ديوانه قبسات من جهادية المتنبي بقصيدته (حوار مع الشعراء) :

وفود من الشرق قابلتها ... يصيحون، قالوا حلَّ الدمار
ونامت أسودٌ وما كان قطْ ... وقد ساد في الأرض قطٌّ وفار
وجاء التتار على موعدٍ ... مع العلقمي الغبي الحمار
وقد كشَّرَ الغرب أنيابه ... وباتوا من القرب في كل دار
وعشتم مع الضعف في كنهه ... وغاب زعيم البلاد وطار
ولكن عراق الشموخ لنا ... وأبطاله دائماً في انتصار
وسيف صلاحٍ[٢] تصدَّى لهم ... وولى علوج الدنايا فرار
سألت ابن عبَّاد[٣] عن وضعكم ... وقال: المآسي فيوجٌ كثارْ
وقال ابن هاني[٤] ولم يبتسم ... بأن المصير هو الانكسار
وغابت بلادٌ فتحتوهما ... ويا ليت شعري يبثّ القرار
وغابت عن العُرْبِ حمراؤها ... وإشبيليتُها وكل الجوار
وغاب عن الألسن ذكرها ... وغاب الزعيم وغاب الحوار
ومازال في الشعر أرجوزةٌ ... دلالاتها نابضاتُ القرارْ
ومازال قلبٌ على عهده ... ونبضاتهُ حاملاتُ المنارْ
ويبدو جنيناً وفي عزَّه ... فتوح الفتوح وحسم القرارْ
ولكنَّ للنفس أخلاقها ... فإصلاحها ينهي الانشطار
وإصرارها نزع حقاً لها ... بعزمٍ وما أروعَ الانتصار[١]

---

(١) قبسات من جهادية المتنبي، ص١٨.

(٢) صلاح الدين الأيوبي قائد الجيش العربي الإسلامي الذي تصدى للعلوج الروم وهزمهم في معركة حطين وحرر القدس والمسجد الأقصى.

(٣) هو الشاعر الأندلسي وأمير إشبيلية في القرن الخامس الهجري.

(٤) هو الشاعر ابن هاني الأندلسي.

ولعل قصيدته الأخيرة التي ختم بها هذا الديوان فيها من التوظيف المعاصر ما يستحق الدراسات النقدية العميقة وقد كانت بعنوان (قبسات وآمال)، وقد قال فيها:

سلامٌ لأبطال عاصرتهم ... وطوبى لمجدٍ نما وازدهر
وإرث تركنا لأحفادنا ... إلى آخر الدهر يبقى الأثرْ
و مازال وجه الأمل يرتقي ... بنصرٍ كبيرٍ ويوم أبرّْ
وليسَ غريباً على أمتي ... وتاريخها حافلٌ بالعبر
وليست تخافُ وإيمانُها ... سينزع حقاً يزيل الخطرْ
ففي أمتي ثورتي لم تزل ... بطولاتها في السجّل الأغرْ
وفودٌ من الشرق قابلتهم ... بقبلات في ليلةٍ في سمرْ
على رأسها كان بردونها ... وشوقي وناجي مع الشيخ بدر
وكانَ لقائي مع نازكٍ ... وفدوى وسلمى وبنت الحضر
وطوقان[1] كم قال من كلمة ... بوجه الأعادي بتلك النبر
سميح ودرويش والموشكي ... ولا يخضعون سوى للقدر
وعبد الرحيم سما ذكرهُ ... على راحة المجد روح البصر
رجال أمام الطغاة أبوا ... وقد أوقدوا ثورة من سعر
ومازال ذا الشعر في ثورةٍ ... وقد سجلوا ثورة المنتصر
ومن مأربٍ نخوة شمَّرت ... وكان الجهاد حياة البشرْ
فجاءت إليّ خطاباتكم ... تقولون: قد زادّ هذا الخطرْ
وكم قد تفرعن أعداؤكم ... ومنكم تعلقم نصف البشر
كوافير عصرٍ وحكَّامكم ... مطايا وأدوات مثل البقرْ

(١) وهؤلاء هم من أعلام الشعر العربي الحديث وهم أحمد شوقي، إبراهيم ناجي وبدر شاكر السياب، والشاعرات نازك الملائكة وفدوى طوقان، وسلمى خضراء الجيوسي، وبنت الحضر الشاعرة اليمنية بلقيس الحضراني. والشعراء: شعراء فلسطين إبراهيم طوقان وسميح القاسم ومحمود درويش والشاعر اليمني الشهيد زيد الموشكي. الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود.

وهامـــان قـــد ســـاد في عـــصركم ... وفي كـــل ركـــنٍ وتحـــت الحجـــرْ
وأمـــسى الأعـــاجم في أرضـــكم ... وفي كـــل بحـــرٍ وفي كـــل بـــرْ[1]
أبـــاحوا اســـتباحوا وكـــم دمـــروا ... وانـــتم تقولـــون هـــذا قـــدرْ
وفي عـــصركم نـــوم أحلامكـــم ... علـــى بـــاب كـــسرى وقـــوم العـــبرْ
فـــلا العـــزم قـــام ولا أمـــتي ... صـــحت بعـــد نـــومٍ وبعـــد الكـــبرْ
إذا كـــان حكَّـــامكم هكـــذا ... فبالـــسُّوط صـــفعاً ونـــار الـــسعرْ
وأيـــن الـــسيوف الـــتي اعتـــدتها؟ ... وأيـــن الخيـــول وأيـــن القمـــرْ؟
ورغـــم المآســـي وأنواعهـــا ... يقولـــون: إن الـــشباب انتـــصرْ
ويـــسمو بفتـــحٍ إلى غايـــةٍ ... وعنوانـــه الانتـــصار الأغـــر
وتـــسمو العـــوالي بأبطالهـــا ... لأنَّ بهـــا نـــصرنا المنتظـــر
وبـــشراك بالنـــصر يـــا ديننـــا ... فهـــذا العـــدو انهـــزم وانكـــسرْ
وبـــشراك يـــا قلـــب طـــوبى لكـــم ... بفردوســـكم تلتقـــون الحـــور
هنيئـــاً يـــزفُّ إلى خولـــةٍ ... ومـــن ودَّهـــا يـــنعم المنتـــصر
وطـــوبى لمجـــدٍ حلمنـــا بـــه ... وطـــوبى لحـــبٍّ سمـــا وانتـــشر[2]

ومن حسن حظي وحظ ديواني (قبسات من جهادية المتنبي)، أن يكون أستاذي الفاضل الدكتور مبارك حسن الخليفة أول النقاد العرب قراءة لهذا الديوان، وقد كتب عنه خلاصة يسيرة بعنوان (إصدارات جديدة (قبسات من جهادية المتنبي) يقول فيه:

للشاعر الدكتور فضل ناصر مكوع، أستاذ الأدب العربي ونقده المساعد في قسم اللغة العربية بكلية زنجبار جامعة عدن. طبع الكتاب في مطابع التوجيه المعنوي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

الإهداء: أهدى الشاعر الدكتور فضل ديوانه هذا إلى المتنبي، رمز العرب، وإلى الأمة العربية التي أنجبته، وذلك في سبعة أبيات شعرية جاء في أولها:

---

(١) م. ن، ص ٧٢

(٢) قبسات من جهادية المتنبي، ص٧٤.

أحـــب وأهـــدي تحيـــات قلـــب إلى الـــشاعر الفـــذ رمـــز العـــرب

وفيها يقول:

إلى أمـــة خيـــر مـــن أنجبـــت أبـــا الطيـــب ســـلطانها المرتقـــب

إهداء ثـان:

إلى الدكتور فضل مكوع، من الشاعر عامر عبدا لكريم مصطفى (ألرقيبي) يقول:

لأنـت الفـضل فـضل لـيس يرقـى إليـــه الـــشك إن عـــدا لكـــرام

وأنـــي قـــد ظفـــرت بفـــضل فـــضل رأيـــت قليـــله فيكـــم يـــرام

المقدمة:

بقلم الدكتور حسن دخيل الطائي، أستاذ ألأدب العربي المشارك بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة بابل.

كتب الدكتور حسن مقدمه ضافية استقصى بها شعر الدكتور فضل، ووقف طويلاً عند التلاقي بين الدكتور فضل والمتنبي جاء في أول المقدمة:

((اطلعـت علـى ديـوان أخـي وزميلـي الأسـتاذ الفاضـل الـدكتور فـضل ناصـر مكـوع ، والموسـوم(قبـسات مـن جهاديـة المتـنبي)، وأعجبـت بمـا تـضمنته هـذه ألمجموعه الشعرية من معان وأفكار، وما نبضت به من عواطف ومشاعر أظهرت ما يتمتع به الشاعر من موهبة مبدعة ومقدرة فائقة في أدائه الشعري، وهو ينشد هذه الأبيات الشعرية التي تزخر بحب اليمن والعروبة والإسلام، وتنير الطريق أمام الأجيال العربية لاقتفاء منهج شاعر العرب الكبير أبي الطيب المتنبي، والداعي إلى التمسك بقيم العروبة والأخذ بناصية المجد والرفعة والشموخ، ورفض الذل والخنوع.

أجمل ما في الديون هذا التلاقي في الرؤى بين المتنبي والشاعر الدكتور فضل ناصر مكوع، فكلاهما نذر نفسه لخدمة العروبة، وعمل على إعلاء شأن العرب والذود عن حياض الأمة بشعرهما".

وفي موضع أخر من المقدمة يقول الدكتور حسن: "وقد عبر الشاعر مكوع عن حبه لليمن، فأظهرت هذه المجموعة أنه ابن اليمن البار الذي تغنى بحبها وعشق كل شيء فيها، وحب اليمن تجسد في عروقه، ونبضت بهذا الحب كل قطرة من قطرات دمه، والجميل في الأمر أنه يمزج بين حب اليمن والعروبة"

مقدمة الشاعر:

جاء في أول هذه المقدمة: "كان المتنبي عبقرية متميزة قل نظيرها في الأدب العربي ممن سبقه أو جاء بعده من شعراء العربية، وأصبح شاعر الأمة الخالد، وشكل شعره ثقافة واسعة لا تحصر بحدود، ومعينا ثراً استقى منه الشعراء ما يحلو لهم من فنه الرائع ولغته العذبة وفكرته اللطيفة وحكمته البليغة، ونسجوا على منواله قصائدهم وإبداعاتهم ".

وقد ذكر الدكتور فضل ((شهادات أرباب البيان وأساطين اللغة)) من أمثال ابن رشيق القيرواني والو احدي والعكبري.

ثم قال: "وكان شاعر العربية من دون منازع، فكأنه يمشي في الجو وسائر الشعراء يمشون في الأرض"

ويقول في موضعٍ آخر من مقدمته": وتأسيساً على هذا، كان الديوان يتجه صوب المتنبي وشعره العربي الخالد في أغلبه الأعم ، ولأن المتنبي يمثل بقصائده ومواقفه وجه العرب المشرق في الشعر والبطولة والجهاد، فقد كان الدافع الرئيس لجعل ديوان شعري الرابع عن هذا الشاعر العملاق الذي شغل الناس وملأ الدنيا)).

والمقدمة تحوي الكثير المفيد والممتع وأنا سعيد بهذا التلاقي، فالمتنبي (صديقي وحبيبي) والشاعر الدكتور فضل تلميذي وابني وصديقي وزميلي.

التناص:

هذا التلاقي بين الشاعر المبدع فضل مكوع وشاعر العربية يعطي مجالا للدارسين لتناول شعر مكوع ودراسة (التناص) بين الشاعرين. وأول قصيدة في الديوان تعطي المفتاح لمن يريد أن يدخل عالم هذا الشعر وهذا التناص.

والقصيدة عنوانها (ثورة المتنبي) ومن محاسن الصدف أن كتبها فضل مكوع وهو في مدينة الكوفة مسقط رأس المتنبي، في ديسمبر ٢٠٠٣م.

ثورة المتنبي

خرجـــتُ مـــن الكوفـــة ثـــائراً ... وســـيفي هنـــا صـــارمٌ للطعـــانْ

"قـــضاعةُ تعلـــمُ أنـــي الفـــتي الَّـــ ... ـــذِي ادَّخَـــرَتْ لِـــصُرُوف الزمـــانْ

ومجـــدي يـــدلُّ بـــني خنـــدفٍ ... علـــى أن كـــلَّ كـــريم يمـــان"[1]

وفيها يقول :

وحـــلَّ الـــشتات وأنواعـــهُ ... وتـــنهش عـــصري ذئـــاب المكـــانْ

سمـــوم الأفـــاعي وأنيابهـــا ... تُبـــثُّ مـــن الأجـــنبي الجبـــانْ

أنـــادي أصـــيحُ بـــروح الفـــدى ... للـــمِّ الـــشتات ا بعـــد الهـــوانْ

ويقول أيضاً :

خـــرتُ وبعـــضُ الـــشباب رفـــاقي ... نثـــور بعنـــفٍ ولا نـــستهان

ولكـــن طمـــوحي كوتـــهُ القـــوى ... علـــى التـــوِّ قـــالوا تنبـــا فـــلانْ

وفخـــري بقـــومي قـــد غـــاظهم ... وأهـــدافهم عيـــشنا في هـــوانْ

خرجـــتُ أبـــشر بـــالمرتجى ... أنـــا ابـــن الـــسيوف أنـــا ابـــن الطعـــان

"أنـــا ابـــنُ اللقـــاءِ أنـــا ابـــن الـــسخا ... أنـــا ابـــن الـــسروج أنـــا ابـــن الرعـــانْ

طويـــلُ النجـــادِ طويـــل العمـــادْ ... طويـــل القنـــاة طويـــل الـــسنانْ

حديـــدُ اللحـــاظ حديـــدُ الحفـــاظ ... حديـــدُ الحـــسامِ حديـــد الجنـــانْ

يـــسابق ســـيفي منايـــا العبـــاد ... إلـــيهم كأنهمـــا في رِهـــان"[2]

هنيئاً لك يا ابني الشاعر الدكتور فضل مكوع، وهنيئاً للقراء الكرام، ومزيداً من الإبداع.

(١) (صحيفة الأيام وفي عددها ٥٥٣٤، السنة ٢٧. الموافق يوم الأحد ٢٠ شوال ١٤٢٩هـ - ١٩ أكتوبر ٢٠٠٨م. ص١٥)

---

(١) شرح ديوان المتنبي٤/١٨٨ .

(٢) شرح ديوان المتنبي ٤/١٨٨.

obeikandl.com

لقد بينا أن موروث المتنبي كان من دون شك معينا ثرّاً استقى منه شعراء اليمن فنّاً رائقاً، ولغةً عذبةً، وفكرةً لطيفةً، وحكمةً بليغةً نسجوا على منوالها... وقد اهتم الشعراء بأن يرتكزوا على أرضيةٍ صُلبة تعطي شعرهم أصالةً ومفهوماً عميقين، إذ أفاد الشاعر اليمني من ذلك الموروث بأمثلته الشعرية العالية وحكمه الذائعة ومواقفه النبيلة، ليس بصيغة التقليد والمعارضة فحسب ولكن بالتفاعل مع تلك الأمثلة: "ليضفي عليها شيئاً من صورة العصر ويتآزر معها لتعميق مضمون القصيدة واستنطاق دلالتها الإنسانية الخالدة "[1]. وكان هذا هو الاتجاه العام الذي سار عليه الشعراء بغض النظر عن ضعفهم أو قوتهم أو طبيعة تواصلهم مع تراث المتنبي، فلم نجد من الشعراء من أعرض عن تراث المتنبي ومضامينه ورموزه، بل إن ما دللنا به من شعر يشير إلى شغف بالتواصل مع موروث المتنبي الشعري وتوظيفه في تطوير مسيرة الشعر حتى غدا الشعر اليمني مكمّلاً للتراث العربي الخالد و "العظيم الذي مشى بالدم وبالحياة وبالعصب والذهن"[2]، وقد حافظ الشعراء اليمنيون المحدثون على الأصالة والتزموا بالشعر العربي القديم بشكلٍ عام وشعر المتنبي بشكلٍ خاص وبمعانيه وبحوره وألفاظه وقوافيه، ونظموا على نسج شعره وعارضوه حبّاً وإعجاباً، إذ يعد شعرهم "نموذجا فنياً عالياً ومثالياً لجميع الأنماط الشعرية العربية المتطورة"[3] "وعلى هذا الأساس ظلَّ المتنبي – كما ذكرنا- معيناً ثرّاً استقى منه الشاعر اليمني الحديث سلامة الأداء، وقوة التعبير ووضوح الفكرة، ولعل المتنبي أكثر شعراء العرب حضوراً في شعر اليمن الحديث، ربما يعود ذلك إلى المكانة العالية التي احتلها بين شعراء الأمة قديماً وحديثاً، وقد كان هذا من الدوافع الرئيسة التي دفعتنا لنشر هذا الكتاب.

وتأسيساً على هذا نجد شعراء اليمن قد حملوا كلماتهم الشعرية؛ وقصائدهم كافة مضامين تراثية مهمة وفاعلة من تراث المتنبي، وفيها ما يعمق تجربتهم

---

(١) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي حداد، ص ٦٤.

(٢) ويكون التجاوز، محمد الجزائري، ص ٤٩٩ .

(٣) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، د. نوري حمود القيسي، ص ١١٧.

الشعرية، وقدموا أنموذجا فذّاً لإحياء التراث العربي، وتراث المتنبي منه على وجه الخصوص،ولعل قصائدهم في أغلبها لم تبارح شعر المتنبي أبداً، فقد وظفوها لمعالجة حاضرهم العربي واليمني على وجه الخصوص، وشحنوها برؤى ومضامين عصرية.

لقد حاولنا – فيما تقدم – أن نرصد المضامين المتعددة التي تصنع عالم الشعر اليمني المقاوم ، والتي تحدد مضامينه المختلفة، وذلك بهدف توضيح ما يميز الحركة الشعرية اليمنية التي ألهبت جذوة الحماسة الثورية، وقد أثبتنا أن المتنبي وتراثه وفاعليته في شعراء اليمن كان الأساس لكتابة هذا البحث، وقد ارتأينا أن نتابع مضامين المتنبي وتراثه الفاعل، ولاشك أننا قد وظفنا بعض الشواهد الشعرية التي تمتلك قيمة الشهادة على صحة القضايا المثارة.

obeikandl.com